بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

أريد أن أتحدث[1] عن محطات من حياة عمار بن ياسر (رض) وإن شاء الله نستفيد منها، أذكّركم بما نُقل عن أمير المؤمنين (ع) حين قُتل عمار: (إن امرأً من المسلمين لم يعظم عليه قتل ابن ياسر وتدخل به المصيبة الموجعة لَغير رشيد، رحم الله عمارا يوم أسلم، ورحم الله عمارا يوم قتل، ورحم الله عمارا يوم يبعث حيا، لقد رأيت عمارا وما يُذكر من أصحاب رسول الله (ص) أربعة إلا كان رابعا، ولا خمسة إلا كان خامسا -لا كدرجة وترتيب بل يعني أحد الأربعة وأحد الخمسة-، **وما كان قدماء أصحاب رسول الله يشكّون أن عمارا قد وجبت له الجنة في غير موطن ولا اثنين، فهنيئاً لعمار الجنة ولقد قيل إن عمارًا مع الحق والحق معه يدور عمار مع الحق أينما دار، وقاتِل عمار في النار)[2]، وكذلك توجد روايات أخرى مذكورة في نهج البلاغة**

بغض النظر عن الجانب العاطفي، نريد أن نستفيد من بعض المعالم في حياة عمار (رض)، يتمنى كثير منا أن يكون مثل عمار ويتأسى به، فكيف من الممكن أن يكون الشخص بحيث يكون على طريق عمار؟

المحطة الأولى: أبوه ياسر كان عربيا (قدم ياسر بن عامر وأخواه الحارث ومالك من اليمن -كانوا من أهل اليمن- **إِلَى مكّة يطلبون أخا لهم فرجع الْحَارِث ومالك إِلَى اليمن وأقام ياسر بمكّة وحالف أبا حُذيفة بن المغيرة بن عبد الله...، وزوّجه أبو حذيفة أمة له يُقال لها سمية بنت خياط. فولدت له عمارًا فأعتقه أبو حُذيفة، ولم يزل ياسر وعمار مع أبي حُذيفة إلى أن مات)[3]**

تعلمون أن في بداية الدعوة كان عمار وأبواه يُعذّبون، يُنقل أن رسول الله (ص) كان يمر عليهم ويقول (صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة)[4]، فعمار كان يرى أباه يعذّب وأمه تعذّب وبصورة جداً مؤلمة

---

(1) تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث في يوم الجمعة الموافق ١١ صفر ١٤٢٧هـ، وقد تطوع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف يتطلبه تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(2) الطبقات الكبرى (٢٦٢/٣)

(3) الطبقات الكبرى (٢٤٦/٣)

(4) الكامل في التاريخ (٥٨٩/١)

حتى ماتا تحت التعذيب، يُنقل أن رسول الله (ص) سأل عمارا: (ما وراءك؟ قال: شرّ يا رسول الله، والله ما تُركت حتى نِلت منك، وذكرت آلهتهم بخير، قال: فكيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالإيمان)[٥]، فنزلت آية التقية في عمار

هذه أول محطة في حياة عمار ونريد أن نبدأ منها، فهل لهذه المحطة تأثير في أن يكون عمار بهذه المنزلة عند أمير المؤمنين (ع) فيتأوّه (ع) عليه كما في نهج البلاغة (أوِهِ على إخواني)[٦] ويعبّر عنه وعن مجموعة أخرى بإخواني، هل لهذه المحطة تأثير؟

عمار قدّم للدين أعزّ شي بالنسبة له منذ بداية الدعوة ومن دون توقع أي مردود دنيوي، في ذلك الحين لم يكن هناك تصور أن يحصل انتصار للدعوة حتى يكون لعمار تاريخ ومكانة، هذه الأشياء لم تكن متوقعة، هذا رصيد قدّمه عمار للإسلام، هل تفكر بأن عمارا سوف يفقد هذه التضحية هذا الرصيد الذي قدمّه من أجل الإسلام؟ هذا الرصيد دائما موجود معه

في مقابل شخص لم يتحمل ولم يقدّم شيئا وإنما يتمنى فقط أن يكون مثل عمار! ويريد أن يستفيد من الدين بلا أي رصيد، يريد أن يُحترم ويُعز وتكون له مكانة، ويكون مؤمنا من دون أي تضحية لأن المؤمن عزيز! هذا لا يحصل، (لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)[٧]، (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا)[٨]

الآن نفترض أن شخصا يريد أن يتأسى بعمار في عمل معيّن أو موقف معيّن، هذا ما يصير، فهناك يوجد باب وبه يحصل التأسي بشكل طبيعي، إذا الشخص يريد أن يكون على الحق الذي كان عمار معه لابد أن يكون بحيث يربط نفسه بالدين لا أن يتعامل مع الدين من بعيد ويضع شروطا، كشرط أن الدين لا يأخذ منه شيئا فهو غير مستعد أن يتحمل الذل على المؤمنين، وشرط أن يكون له موقع ومكانه!

المحطة الثانية: يُنقل أنه حينما كانوا يبنون مسجد النبي (ص)، كان هناك شخص يُذكر أنه كان نظيفاً متنظّفا فكان يحمل لبنة –حجر من الطين– من بعيد ويبعدها عن ثيابه، فحينما يضعها بعد ذلك ينظف

---

(٥) الطبقات الكبرى (٢٤٩/٣)

(٦) نهج البلاغة (الخطبة: ١٨٢)

(٧) (آل عمران: ٩٢)

(٨) (الحجرات: ١٥)

كفيه وملابسه، يُنقل أن أمير المؤمنين (ع) كان يردد (لا يستوي من يعمر المساجدا، يدأب فيها راكعا وساجدا... وقائما طورا وطورا قاعدا، ومن يرى عن التراب حائدا)[٩]، عمار ما كان منتبها بوجود ذلك الشخص –الذي يقصده أمير المؤمنين (ع)– فكان يردد نفس هذه الأرجوزة وكان يأخذ لبنتين لبنتين، ذلك الشخص ما كان يقدر على أمير المؤمنين (ع) فأتى إلى عمار وقال: (يا بن سمية، ما أعرفني بمن تُعرِّض. ومعه جريدة، فقال: لتكفّنّ أو لأعترضنّ بها وجهك! –يريد أن يضربه– **فسمعه النبي (ص) وهو جالس في ظل حائط، فقال: عمّار جلدة ما بين عينيّ وأنفي)[١٠]، يعني هذا المكان –بين العين والأنف– المحمي والعزيز جداً، ثم صار هنالك توتر فبعد ذلك أراد عمار أن يخفف ويمازح فقال يا رسول الله إن أصحابك (يريدون قتلي، يحملون لبنة لبنة ويحملون عليّ لبنتين. فأخذ به وطاف به في المسجد وجعل يمسح وجهه من التراب ويقول: يا ابن سمية، لا يقتلك أصحابي؛ ولكن تقتلك الفئة الباغية)[١١]، هذه المحطة هل تشعرك بشي؟ ألا تدل على الهمة العالية؟**

هذه المحطة كذلك تعطينا شيئا آخر وهو أن في ذلك الحين كان هنالك من أصحاب رسول الله (ص) أناس كانوا مرتبطين وملازمين لأمير المؤمنين (ع) –من أمثال عمار– فكانوا يتّبعونه في أعماله وأقواله ولا يكتفون فقط برسول الله (ص)، يعني مسألة الإمامة والائتمام والولاية والارتباط الولائي هذا كان موجودا في حياتهم

يُنقل أن رجلا من بني تميم قال لعمار: (أيها الأجدع –يعني مقطوع الأذن– **فقال عمار: خير أُذنيَّ سببت)، فقال شخص إنها (أصيبت مع النبي (ص))[١٢]، إذا شخص يقول عن أحدنا هكذا ماذا نفعل به؟ عمار فوراً يذكر الله عز وجل ويذكر دينه، وينقل أيضا عن شخص أنه قال لعمار: (كذبت يا ابن سمية –** كانوا حينما يريدون أن يحتقروه يسمونه ابن سميه– **فقال: أنا والله ابن سمية وابن ياسر)[١٣]، تلحظون هذه القوة وهذا العز، هكذا يكون المؤمن الذي يعرف الدين والإيمان**

المحطة الثالثة: هي ما يُنقل في هذا الموقف (قال: كنا بصفين مع علي بن أبي طالب (ع) تحت راية

---

(٩) العقد الفريد (٥/٩٠)

(١٠) نفس المصدر

(١١) نفس المصدر

(١٢) الطبقات الكبرى (٣/٢٥٤)

(١٣) أنساب الأشراف (٥/٥٣٩)

عمار بن ياسر ارتفاع الضحى استظللنا ببرد أحمر إذ أقبل رجل يستقري الصف حتى انتهى إلينا فقال: أيكم عمار بن ياسر؟ فقال عمار بن ياسر: هذا عمار، قال: أبو اليقظان؟ قال: نعم، قال: إن لي إليك حاجة فأنطق بها علانية أو سرا؟ قال: اختر لنفسك أي ذلك شئت، قال: لا بل علانية، قال: فانطق، قال: إني خرجت من أهلي مستبصراً في الحق الذي نحن عليه لا أشك في ضلالة هؤلاء القوم وأنهم على الباطل فلم أزل على ذلك مستبصراً حتى ليلتي هذه صباح يومنا هذا فتقدّم منادينا فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (ص) ونادى بالصلاة ونادى مناديهم بمثل ذلك، فصلينا صلاة واحدة ودعونا دعوة واحده وتلونا كتابا واحداً ورسولنا واحد فأدركني الشك في ليلتي هذه فبت بليلة لا يعلمها إلا الله حتى أصبحت فأتيت أمير المؤمنين فذكرت ذلك له، فقال: هل لقيت عمار بن ياسر؟ -أمير المؤمنين (ع) يُرجِع الناس إليه بسبب ذلك التاريخ وتلك المعاناة، هذا ممكن لأي إنسان أن يصبح سنداً، فهو كان سندا لأمير المؤمنين (ع) وهذا ممكن لأي إنسان -إذا الدين أصبح كل همّه- أن يصبح سندا لغيره حينما يواجه مشكلة في الدين فهنا يأتي بباله بمن يستعين؟- **قلت: لا، قال: فالقه فانظر ما يقول لك فاتبعه، فجئتك لذلك، فقال عمار: تعرف صاحب الراية السوداء المقابلة لي... فإنني قاتلتها مع رسول الله (ص) ثلاث مرات وهذه الرابعة فما هي بخيرهن ولا أبرّهن بل هي شرّهن وأفجرهن، أشهدت بدراً وأحداً ويوم حنين أو شهدها أبٌ لك فيخبرها لك؟ قال: لا، قال: فإن مراكزنا على مراكز رايات رسول الله (ص) يوم بدر ويوم أحد ويوم حنين وأن مراكز هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب، هل ترى هذا العسكر ومن فيه؟ فوالله لوددت أن جميع من أقبل... ممن يريد قتالنا مفارقا للذي نحن عليه كانوا خلقا واحدا فقطعته وذبحته. والله لدماؤهم جميعا أحل من دم عصفور. أفترى دم عصفور حراما؟ قال: لا، بل حلال. قال: فإنهم كذلك حلال دماؤهم، قال: أتراني بينت لك؟ قال: قد بينت لي قال: فاختر أي ذلك أحببت، فانصرف الرجل فدعاه عمار ابن ياسر فقال: أما أنهم سيضربوننا بأسيافهم حتى يرتاب المبطلون منكم فيقولون لو لم يكونوا على حق ما ظهروا علينا والله ما هم من الحق على ما يقذي عين ذباب والله لو ضربونا بأسيافهم حتى يبلغونا سَعفات هجر لعرفت أنا على الحق وأنهم على باطل)[١٤]، الكلام لوحده لا يؤثر بل المؤثر فيه هو ذلك الرصيد الذي يملكه الشخص، يعني الشخص مع رصيده وعطاءه للدين يؤثر، وإلا إذا لم يكن كذلك فحينما يتكلم من الممكن يخرّب الكلام -أي أن كلامه يضر ولا يصلح شيئا- (لا**

---

[١٤] وقعة صفين (٣٢١)

يبلّغ عني إلا أنا أو رجل مني)[١٥]، هذا لابد أن يُعرف، هذه المحطة ماذا تعطينا؟

موقف عمار يدل على المعرفة والثبات، يعرف الإمامة وموقعها من الدين، عمار كان مؤمنا بما يعرفه إيمانا راسخا، ولكن لماذا قال للرجل (والله لو ضربونا بأسيافهم حتى يبلغونا سَعفات هجر) بدل أن يقول له نحن سننتصر في الحرب؟ لأنه يُفترض في حالة الحروب كل طرف يحاول أن يجعل جنوده لا يرتبكون ولا يفكرون بأنهم قد ينهزمون، فلماذا يقول هذا؟ هذا الكلام فيه صدق ووضوح، وشي آخر هو أنه يبيّن أن انتصار المؤمن يختلف عن الانتصار الظاهري، مثلاً هل أمير المؤمنين (ع) انتصر؟ حسب المقاييس الظاهرية لم ينتصر، والحسين (ع) حسب المقاييس الظاهرية لم ينتصر ولكنه في الواقع انتصر، وأمير المؤمنين (ع) انتصر[١٦]، ونستطيع أن نثبت كيف انتصر فالهدف والغاية التي كان يسعى إليها (ع) ما هي؟ الانتصار يقاس بمقياس الهدف، فإذا كانت المسألة مسألة حكم نعم يكون هذا انكسارا، يعني إذا هؤلاء هزموا المؤمنين (فبلغوهم إلى سَعَفات هجر) فإذا كانت المسألة مسألة حكم فهذا يعتبر انكسارا، أما إذا كان الهدف هو إحقاق الحق ففي هذه الصورة قد يكون الانتصار في عهد الإمام (ع) هو السلطان والحكم، وقد يكون الانتصار بالمظلومية وكون الإنسان المؤمن مستضعفاً، هل نحن نقيس الأمور بهذا المقياس؟

شخص قد يتكلم ويدّعي كل شيء لكن هل واقعه وحقيقته تعكس كلامه؟ يعني إذا عرف الحق فهل الحق يكفيه؟ أم يجب أن يكون له مكانة وبروز بين الناس وهذا الذي يعطيه الشعور بأنه على حق!؟، إذا كنت أنت بحيث أنك واثق بنفسك ومعترف بفطرتك –وأنت مع إمامك– فأصبحت أنت مسؤولا عما تسمع وعما تقرأ وحتى حينما تفكر في الدين فالدين ينميك، في هذه الصورة أنت تؤمن بما تسمع وتقرأ وتفكر فتكون حقيقة مؤمنا وعلى حق، وفي المقابل شخص لا يرى بأنه على حق إلا أن يكون له وجود ثابت وله جماعة لها كيان ثابت!

أساساً الدين مر بمرحلتين رئيسيتين، المرحلة الأولى في بداية عهد رسول الله (ص) لم يكن الدين ميسورا ويصعب الاستمرار في معرفة الدين لأن رسول الله (ص) لم يكون موجودا دائما وبالتالي الولاية المبسوطة اليد لم تكون موجودة دائما، ولكن في المرحلة الثانية التي هي مرحلة التدين الميسور بعد أن

---

[١٥] بحار الأنوار (٢٨٥/٣٥) نقلا عن علل الشرايع

[١٦] أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب (**هكذا آمنت٤ – الإمامة**) فصل (**انتصر (ع) بانتصار أعدائه**)

اكتمل الدين، التدين الميسور يكون بحيث أنك أنت تستطيع –في أي ظرف– أن تعرف الحق وتكون مع الحق، أنت في أي ظرف –حتى إذا بمفردك وفي مكان منعزل– تستطيع أن تكون جماعة، ولكنه صعب بطبيعة الحال[١٧]، إذن نستفيد من هذه المحطة وهذا الذي تنبأ به عمار أن الحق لا يرتبط بالنصر الظاهري وبالحكم، الحكم جيد إذا يكون نتاج الحق

المحطة الرابعة: قال عمار في اليوم الذي قُتل فيه: (اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلت، اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن رضاك أن أضع ظُبة سيفي في بطني ثم أنحني عليها حتى يخرج من ظهري لفعلت، اللهم وإني أعلم مما أعلم أعلمتني أني لا أعمل اليوم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين ولو أعلم اليوم عملاً أرضى لك منه لفعلته)[١٨]، هذه المحطة ماذا تعطينا؟

كثير من الناس كانوا مع أمير المؤمنين (ع) في صفين وكانوا يقاتلون معه، ولكنهم لا يعرفون باب الكون مع أمير المؤمنين (ع) والقتال والجهاد في سبيله؟ ومن أي باب يأتون؟ تارة شخص يأتي من باب التعصب، تارة من باب العادة، تارة من باب التأثر بالناس، وليس من الضروري أن يكون العمل بتلك الأمور صريحا وواضحا، هؤلاء الناس كانوا يقاتلون مع أمير المؤمنين (ع) ومستعدون كذلك أن يُقتلوا لكن في رواية (ما كان فيهم خمسون رجلا يعرفونه حق معرفته وحق معرفة إمامته)[١٩]

بطبيعة الحال الإنسان يندفع فطرياً لأن يقوم لله فإذن يتأثر فيتخذ هذا الطريق طريقا ويسلكه، الشخص الذي من باب التقرب إلى الله يأتي يعني بسم الله الرحمن الرحيم، يعني إذا تكون نفسيته ولسان حاله بهذا الشكل: أني مستعد أن أفعل لله أي شي يرضيه عني، وهنا يطلب وجه الله تعالى فالمعرفة انطلاقاً من هذا تنفع، وإلا فإن طلب المعرفة يصبح متكلفا والمواقف كذلك تصبح متكلفة، بل حالة الإنسان تكون بحيث يطلب وجه الله بكل وجوده فهو يطرق الأبواب ويضع نفسه هنا لأنه وجد فيه رضا الله حسب ما تعرفه فطرته، هذا شي رئيسي ومهم وإلا يكون متعصبا، أو نتيجة العادة، أو تأثرا بالأخرين وهذا يجعله متكلفا ومرتبكا، كل هذه الأشياء تحصل

---

[١٧] أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب (**هكذا آمنت٢ – نبوة النبي (ص)**) فصل (**مرحلتان**) ص١٤٤

[١٨] وقعة صفين (٣٢٠)

[١٩] بحار الأنوار (١٥٢/٤٢) نقلا عن رجال الكشي

هنا يأتي السؤال: لماذا يقول عمار (أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلت...)؟ ألا يكفي أن يكون موجودا في نفسه؟ تعلمون أن عمارا كان عَلَماً وكان الناس يلتفّون حوله، حتى أن أمير المؤمنين (ع) –في تلك الرواية التي ذكرناها– يُرجع الناس إليه، معنى هذا أنه هو أصبح عَلَما وله تاريخ وله رصيد، لا فقط أن في داخله رصيد إيماني قوي بل كذلك في الظاهر هو لديه رصيد، لذلك هو يتعامل بمسؤولية كولي على الناس –كما قال مثلا– (لو قد يهزموننا)، فهناك أناس يتطلعون إليه ويقبلون منه كسند وكولي، حتى ذلك الشخص المرتبك –الذي أتاه– فبمجرد أن عمار قال له أن هذا هو الطريق كن هكذا، فالشخص اطمأن

هل من الممكن أن نكون كذلك بحيث نستطيع أن نقول وبقوة: هذا هو الهدى وهذا هو الضلال، لا أننا لا نعرف ولا ندري هذا ضلال أم هدى!، وكذلك أن يكون لنا رصيد وعطاء للدين بحيث يجعل الآخرين يتعقلون لا فقط يتأثرون بنا، فعمار لا يكتفي أن تكون هذه حالته وفقط بينه وبين ربه بل يقول هذا ويعلنه: أيها الناس أنا هكذا، كونوا هكذا، من يريد أن يتأسى بي فهذا أمير المؤمنين (ع) هو الباب هو وجه الله هو صراط الله المستقيم والدليل إلى الله والداعي إلى الله، الشخص الذي يطلب وجه الله لابد وأن يتمسك بأمير المؤمنين (ع)

أرجو أن يجعل الله في هذا الحديث نفعاً لي ولك وأن نكون كعزّ وقوة عمار، كان عمره الشريف ثلاثة وتسعون سنة وكانت يده ترتجف لكن مع ذلك كان سلاحه بيده، وكان في الصفين يدفع هاشم المرقال يقول: (احمل فداك أبي وأمي)[٢٠]، وينقل أنه قال له مازحا: (أيا هاشم أما تخشى من نفسك أن تكون أعور جبانا؟)[٢١]، (فقال له هاشم: رحمك الله يا عمار إنك رجل تأخذك خفة في الحرب وإني إنما أزحف باللواء زحفا)[٢٢]، هذه القوة وهذا العز، قُدّم له لبن –بعد إصابته في صفين– فضحك وقال أخبرني حبيبي رسول الله (آخر شراب أشربه لبن حين أموت)[٢٣]، (اليوم ألقى الأحبة محمدا وحزبه)[٢٤]، اللهم صلِّ على محمد وآل محمد، والحمدلله رب العالمين

---

[٢٠] وقعة صفين (٣٤٠)

[٢١] وقعة صفين (٣٢٦)

[٢٢] وقعة صفين (٣٤٠)

[٢٣] البداية والنهاية (٢٩٧/٧)

[٢٤] وقعة صفين (٣٤١)